

# اتِّبَاطُ الْعَرَبِيَّةِ بِالاسْلَامِ الْقَائِمِيِّ غَيْرُ مُفْرُوضٍ عَلَى الشُّعُوبِ الْاسْلَامِيَّةِ

للدكتور أحمد الضبيب

(جامعة الرياض)

وكان من مظاهر الصراع بين العربية من جهة واللغات الأقلية من جهة أخرى ، كالفارسية مثلا تلك الحركات الشعوبية التي استهدفت تاريخ العرب وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وأخذت تفاضل وتوازن بين ما عند العرب وما عند غيرهم . وتمادت هذه الحركات المنطرفة حتى استهدفت أقدس كتاب حملته الأمة العربية إلى العالم وهو القرآن الكريم ، فقد روى عن الحسن بن سهل وزير المأمون أنه عندما سئل عن رأيه في القرآن الكريم قال : « حسن ككتاب كليلة ودمنة » (\*)

وقد صمدت اللغة العربية في هذه الحرب على اعتبار أنها لغة الإسلام التي نزل بها القرآن والتي يتفوه بها المسلم إيا كان جنسه في صلواته ومناسكه فارتبطت بالاسلام ارتباطاً وثيقاً ولكن ارتباطها بالاسلام لم يفرضها دائماً على الشعوب المسلمة ولم يكن بمقدورها في كثير من الأقطار الإسلامية ان تدخل الى مختلف طبقات الشعب فتصبح لغة التخاطب التي يستعملها الناس في حاجياتهم اليومية . ونحن نرى في كثير من الأقطار الإسلامية غير العربية ازدواجاً في اللغة اذ يحتفظ الفرد بلغتين : لغته المحلية (اللاؤردية او الفارسية او التركية) ولغته الدينية (اللغة العربية) . وقد حالت دون استعمال اللغة العربية لغة شعبية في هذه المناطق ظروف كثيرة اجتماعية وسياسية

ظهر الإسلام في الجزيرة العربية بين قوم يتكلمون العربية ، ونزل القرآن الكريم بهذه اللغة كما بشر الرسول صلى الله عليه وسلم بها فارتبطت اللغة العربية بالاسلام منذ ذلك الوقت واصبحت لغة هذا الدين لا نزاع في ذلك ولا جدال .. ولكن الاسلام مع ذلك ليس دين العرب فحسب بل هو دين عالمي يستهدف البشر جميعاً وبهدي الناس كافة فهو اذن لا يقتصر على أولئك الذين يتكلمون العربية وانما هو دين لكل الامم بكل لغاتها واجناسها .

وابان الفتوحات الاسلامية حمل العرب الاسلام واللغة العربية الى البلاد المفتحة وكان ان تقبليت شعوبها الاسلام طوعاً او كرها ولكنها لم تقبل العربية الا بعد صدام طويل بين العربية وبين لغاتها المحلية حققت العربية بهذه انتصاراً كاسحاً دائماً في بعض المناطق كالشام والعراق ومصر وخاصة على الصعيد الشعبي حيث توارت لغاتها المحلية نهائياً من عالم التخاطب العادي وحلت محلها اللغة العربية تدريجياً . كما حققت انتصاراً مؤقاً في فارس وما وراءها . فما ان عاد الفرس الى الاحتفاء بتراكمهم القديم واعادة بناء حضارتهم السابقة حتى بدا الاهتمام بالعربية يقل واخذت الفارسية تزدهر من جديد وخاصة في العصر السلجولي .

(\*) انظر : يوهان فلک : العربية ص 84 ( ترجمة عبد الحليم النجار : القاهرة - 1951 م ) ، وقارنه بما جاء في كتاب مضاعاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما اشبهها من اشعار العرب لابي عبد الله محمد بن حسين اليمني ( تحقيق د . يوسف نجم ) بيروت 1961 م ص 2 .

بالرغم من ان الانجليزية قد صدرها الى شبه القارة الهندية قوم مسيحيون .

والخلاصة ان انتقال ديانة ما يستتبع انتقال لفتها المقنسة معها ، ولكن انتقال لفه ما لا يستتبع انتقال ديانة أصحابها .

وليس لدينا من واقع لهجاتنا المحلية ما نستطيع الحديث فيه عن صلة الاسلام بهذه الهجات ، لأن هذه الهجات لم تدرس دراسة علمية على هذا الاساس ، غير ان دخول بعض الصيغ الدينية البحث في كلامنا الدارج يتجلی في الادعية المختلفة التي يلهم بها ابناء الشعب في الجزيرة في حالات الشدة والرخاء والرضا والغضب ، وكذلك في بعض الامثال والحكم التي تشيع بين العامة في هذه البلاد مما يؤكّد تأثيراً دينياً قوياً على مفردات اللغة وتراثها .

وبعد - وان كان الامر يحتاج الى دراسة اعمق - ان الفئة المديدة من ابناء الشعب في الجزيرة العربية هي اقرب الفئات ولو عما باللغات العربية الفصحى والتقططاً لمفرداتها وتشبيهاً بأساليبها وقدرة على تعلمها واستيعابها نشهد ذلك في الطلبة الذين ينشاون في بيوت دينية فنجدهم اقرب الى تعلم العربية وتقدير قواعدها من اولئك الذين نات بهم بيتاتهم عن الثقافة الدينية . وفي هذا ايضاً ما يدل على ان الشعور الديني يهيء لفهم اللغة العربية وانتشارها ..

وغيرها . كما ان الشعوب الاسلامية الاخرى التي تقبلت اللغة العربية كلفة شعبية مكنت لها ذلك ظروف اجتماعية عديدة من اهمها الاختلاط المباشر والهجرات الجماعية الضخمة التي انتقلت من الجزيرة العربية واستوطنت هذه البلدان واستطاعت ان تعيش على مر التاريخ الاسلامي ، لم تزعج عن اماكنها بسبب الحروب او الثورات الداخلية او النزارات العنصرية فمكنت بذلك للعرب ان تستقر وان تنمو وان تصبح لغة الشعب .

وهكذا فان انتشار الاسلام يمهد لانتشار اللغة العربية ، ولا شك انبقاء هذه اللغة في الاماكن التي دخلها الاسلام مرهون بالظروف الاجتماعية والسياسية المختلفة التي تسيطر على تلك الاماكن .

اما انتشار العربية فلا يعني بالضرورة انتشار الاسلام وليس كل من نطق العربية معتقداً بالاسلام او مؤمناً به .. وهناك من العرب انفسهم من يتحدث العربية ويكتبها ويعتبرها لفته وجزءاً من حضارته وتراثه ولكنه مع ذلك لا يؤمن بالاسلام ، وما ذلك الا ان اللغة في حد ذاتها اداة اجتماعية تؤدي اغراضها معينة لاستعمالها بصرف النظر عن اهداف هذه الاغراض ، و شأن العربية في ذلك شأن اللغات الأخرى ، وانظر الى الانجليزية في هذا المقص ، اليست اللغة الثانية والرسمية في الهند وباكستان ؟ وانظر الى عدد المسيحيين في هاتين الدولتين تجدهم قلة اذا ما وازنت بين عددهم وعدد المسلمين او البوذيين وذلك

